وجاء الشتاء فأين أهل البذل والعطاء

2025-12-19

الحمد لله الذي خلق فصولَ السنة لتكون عبرةً وآيةً للمعتبرين، وهِدايةً للمهتدينَ، وحُجّةً على المعاندينَ الملحدينَ. فسبحانه من إله يقلّب الليل والنهار، ويُصرّف الفصول والأمطار، وجعل الشتاء زمانًا للخصب والنماء، والغيث سببًا للرحمة والرضاء. القائل في سورة الشورى: {وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ}. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديّان، مدبّر الأكوان، أحمده سبحانه وهو الرب الجليل عظيم السلطان، {كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ}، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى بَذْلِ الْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ((أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا)).

يا أمّة المصطفى يا أشرف الأُممِ * هذا نبيّكُمُ المخصوصُ بالكرم

هو الرؤوف الرحيم الطاهرُ الشّيَمِ * إن شِئتُمُ أن تنالوا رِفْعةً وغِنًى

صلّوا عليه لعلّ اللهَ يرحمُنا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم الأخلاق. وعلى آله المنتخَبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق. وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السُّبّاق، فكانوا يُنفقون ممّا يحبّون، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ توكّلا على الملك الرزّاق. صلاة تنفّس بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق. وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. كانَ سيّدنا عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عنه، إذا حَضرَ الشّتاءُ، تعاهدَ الوُلاّةَ، وكتبَ

لهم كتاباً يُوصيهم بالنَّاسِ، وفيه: ((إنَّ الشِّتاءَ قد حضرَ، وهو عدوٌّ، فتأهّبوا له أُهبتَه من الصُّوفِ والخِفافِ والجَواربِ، واتَّخذوا الصُّوفَ شِعارًا ودِثارًا، فإنَّ البردَ عَدوٌّ، سَريعٌ دُخولُه، بَعيدٌ خُروجُه))، أيها الآباءُ والأولياءُ: أُحْنُوا على صغاركم وأطفالكم، واكسوهم وارحموهم، فالرحمة لا تُنزَع إلا من قلبِ شقيٍّ، وكم من أبٍ هجَر أولادَه، وأمسَكَ عنهم النفقةَ، بسبب اختلافه مع زوجته أو مطلَّقته، لا يكسوهم في صيف ولا شتاء ولا أعياد، ولا يَصِلُهم بنفقة، ولا يعرفهم بإحسان، حتى تصدَّق عليهم الغرباءُ والأقرباءُ؛ أيُّ قسوةٍ، وأيُّ غِلظةٍ، وأيُّ عقلٍ، وأيُّ فِكْرٍ، يحمله ذلك الأبُ الظالمُ، الجاهلُ، الذي أهمَل أولادَه وقلاهم، ورماهم وأشقاهم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه مسلم: ((كفى بالمرء إثمًا أن يَحبس عمَّن يملك قوتَه))، وفيما رواه أحمد وأبو داود، قال صلى الله عليه وسلم: ((كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع مَنْ يَقُوتُ)). أيها المسلمون. تذكّروا في هذا البرد أحوال الفقراء والمعدَمين من إخوانكم؛ فإنهم لا يجدون كساء يحمي أجسادهم، ولا فراشا يقيهم صقيع الأرض، ولا طعاما يُقوِّي أبدانهم على البرد، ولا يملكون وسائل للتدفئة، ومنهم مَنْ في بيوتهم مداخلُ ومخارج للهواء البارد من قلة ذات اليد، ومنهم من يسكنون صفيحا يجمّدهم وأُسَرهم وأولادهم، وتذكّروا أنّ الراحمين يرحمهم الرحمن. ما أجمل أن تذهب لوحدك أو مع أولادك أو أصحابك، وتشتري لوازم للتدفئة من ملابس شتوية، أو بطانيات، أو مدافئ، ثم تتلمّس حاجات المحتاجين، من جيرانك، أو ممّن يسكن الأحياء الفقيرة، إفعل ذلك، وأعطهم بنفسك، سلّمهم صدقتك بيدك، واحتسب أجرها عند ربك، وستجد أثرها في قلبك. إذهب إلى خزانة ملابسك، وابحث عن ملابس الشتاء التي لم تعد أنت أو أهلك بحاجة إليها، وهي بحالة جيّدة، وأخرجها من بطون الخزائن إلى ظهور المحتاجين. ابحث بنفسك عن المحتاجين، للفقراء علينا حقٌّ دائم، ويتأكد هذا الحق في الأزمات والملمّات، وفي النكبات والصعوبات، ومن ذلك أن نرحمهم ونعطف عليهم مع برد الشتاء، أيها المسلمون. المؤمنُ يتعاطفُ ويرحمُ

إخوانَه المؤمنينَ، فإذا جلستَ أنت وأبناءَك على مائدةِ العشاءِ السَّاخنِ في الليلةِ الباردةِ، قد آواكم بيتٌ دَافئ، وفِراشٌ ناعمٌ، فتذكَّرْ أنَّ لكَ إخواناً أُخرِجوا من بيوتِهم قَهراً، فهم نُزلاءُ الخيامِ دهراً، لباسُهم العَراءُ، ولِحافُهم السَّماءُ، فَرُّوا من موتِ السَّلاحِ والحروبِ، فقتلَهم البردُ في الملاجئ والدُّروبِ، {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}، ومنهم من هو بينِنا لا نَفطنُ لهُ، فهم بينَ بردِ الشِّتاءِ والجوعِ، وبينَ الأحزانِ والدُّموعِ، ينظرُ إلى زوجتِه وأبنائه وهم يشتكونَ، ولا يملكُ إلا دعاءَ خالقِ الكونِ، أيها المسلمون. فها نحن في موسمُ البردِ والشِّتاءِ، فلنتأهّبْ له لأنفسِنا ولإخوانِنا الفُقراءِ، ولا نُسلِمهم لهذا العدوِّ كما سَلَّمناهم لسائرِ الأعداءِ، ولنشاركهم ما عندنا من مالٍ وطعامٍ وكِساءٍ، فالقديمُ عندكَ جديدٌ عندَهم، والقليلُ عندَك كثيرٌ عندَهم، والكرم في شدّة الشتاءِ وقسوته، والإطعام والإحسان إذا شحَّ الزادُ وقلَّ القِرَى، وكَثُر الجدبُ، مأثرةٌ ومكرمةٌ لا يتَّصِفُ بها إلا الأجوادُ الرحماءُ، قال جل وعز في سورة البلد: {اَوِ اِطْعَامٌ فِے يَوْمٍ ذِے مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ اَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ}، قال إبراهيم النخعي: "في يومٍ الطعامُ فيه عزيزٌ". فجُودُوا وتصدَّقوا، رحمكم الله، وأطعِموا الجائعَ، واسقوا اللهفان والظمآن، واكسوا من تقعقعت أضراسُه، وارتجفت أوْصاله مِنْ لفحِ البردِ وحِدَّتِه، وتفقّدوا الجيرانَ والخدمَ والعمّالَ، والأقاربَ والفقراءَ والضعفاءَ، والرعاةَ في الصحراء، فليس المؤمنُ الذي يشبع وجارُه جائعٌ، وسُدُّوا جَوْعةَ المسكين وحاجتَه وفاقتَه، فتَفَقَّدُوا هَؤُلَاءِ وَأَغِيثُوهُمْ وَأَعِينُوهُمْ؛ فقد صَحَّ عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنه قال: ((مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْه كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، وقال: ((فَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))، وقال: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله))، فنفّسوا عن إخوانكم الفقراء كربة الشتاء بالمال واللباس، لأنَّ العبادةَ إذا كانتْ مُتعديَّةً إلى الغيرِ، فإنَّها من أحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى، كما في حديثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟، وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا))، واسمعوا رحمكم الله، بماذا مدحَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ أهلَ اليمنِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أي: نفدَ زادُهم، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))، وهكذا هي أُخوّةُ الإيمانِ والدِّينِ، وكذلكَ ينبغي أن تكونَ مُجتمعاتُ المسلمينَ. كما وصفها القرآن الكريم في سورة الحجرات: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. نسأل الله تعالى أنْ يَعُمَّنا بفضله، ويُكرمَنا بنعمته، ويمنَّ علينا بعافيته، فهو الجوادُ الكريم. اللهم كما أحييتَ الأرض بالمطر، فأحينا بالإيمان، وبصّرنا بالحق، وارزقنا العمل الصالح. اللهم انصر إخواننا المستضعَفين في دينهم في كل مكان، اللهم أنقذ المسجد الأقصى، من الصهاينة الغاصبين المحتلّين، يا قويّ يا عزيز، اللهم اجعله شامخا عزيزا إلى يوم الدين، اللهم كن لإخواننا في فلسطين، وفي بلاد السودان، وفي كل مكان، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم أذهب الفقر والجوع والأمراض والعري عن بلادنا وعن بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم ابسط على هذه البلاد الخيرات والبركات، واجعلها سالمة من الشرور والفتن والآفات، وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمنّا في الأوطانِ والدورِ، وأصلح الأئمّةَ وولاّةَ الأمورِ، واغفر لنا يا عزيزُ يا غفورُ، اللهمَّ أغننا من فضلِك، واكفنا بحلالِك عن حرامِك، واغننا بفضلِك عمن سواك، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللهمَّ اجعلنا مقيمي الصَّلاةِ ومن ذرياتِنا، ربنا وتقبلْ دعاءَنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنينَ يومَ يقومُ الحسابُ، اللهمَّ استر عيوبَنا، واقض ديونَنا، واشف مرضانا، وارحم موتانا، اللهم اهدِ

ضالَّنا، واجمع على الحقِّ كلمتَنا يا ربَّ العالمينَ. اللهمَّ يا حيُّ يا قيّومُ برحمتِك نَستغيثُ، ارحم إخوانَنا وأهلَنا في كلِّ مكانٍ، اللهمَّ اكشف عنهم البلاءَ، واجعل لهم مَخرجاً، اللهمَّ أطعمْ جائعَهم، وأمِّنْ خائفَهم، اللهمّ فُكَّ همَّهم، ويسِّرْ أمرَهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ